الماء سيكتسب فضائل شِفائية إذا جمعته يداه الأميريّتان. وكان ذلك هو ما يُتهامس به أيضاً في صفوف الحشد؛ وكان «مالكوس» واحداً من نفر كانوا الوحيدين الذين شكّوا في إمكان أن يكون التفسيرُ غيرَ ذلك. لقد سبق أن راقب صديقه في المدن التي زاراها بما يكفي لكي يعرف أنه حين كانت امرأة متواضعة تقدّم له طاسة من الحساء وبَصَلَة كان يقبلهما بعِرفان، وحين كانت زوجة تاجر موسر تقدِّم له أطعمة باذخة كان يُبدي القدر نفسه من العِرفان وإن لم يذق سوى لقمة واحدة، ولكنْ في كلّ مرّة كانت فيها خادمة تمثُل حاملةصينية كان «ماني» يُعيدها قائلاً: «اذهبي إلى أسيادك وقولي لهم أن يحملوا إليّ الصَدَقة بأنفسهم لأتمكّن من مباركتهم وشكرهم!».

وعلى ذلك فقد كان الماء الذي طلبه من الأمير يريد أن يحصل عليه من الأمير لا من خادمه!.

وعاد «هرمز» حاملاً الإبريق بكلتا يديه. بِخَرَقٍ اصطدمتْ معه قدمه بأحد أعمدة الخيمة وتحرّك أقرب رجال الحاشية منه لكي يسندوه محوِّلين أنظارهم ما إن استعاد وضعه كيلا يلاحظ أنهم رأوه يتعثّر.

كان الوقت قد دخل الغَسَق، و«ماني» الجالس على ساقه المطوية إلى يسار الطفلة مستمرّ في مراقبة الكمادات وتبليلها ما إن تجفّ. وإذ كانت «دينـاغ» جاثية بقربه فقد بدت قَلِقة ومستعدّة على الدوام للنهوض إذا طلب منها ذلك. وكان «هرمز»، أشدّ الجميع تململاً، جالساً بجانب الطفلة من الناحية الأخرى.

وفجأة، وفيما كان كلّ واحد محتبساً داخل الصمت، قال الأمير:

ـ نذراً عليّ إذا شُفيت ابنتي ألاّ أُسْلِم (دَبْ) للنهب. وسوف يُصان الأهالي والمنازل والأسواق وأمكنة العبادة وكلّ شيء. ولكنْ فلتسْلَم ابنتي.

لم يتحرّك «ماني». وقال فقط بنبرة الدعاء نفسها:

ـ لِتَسْمَع «السماءُ» هذه الأقوال الحكيمة السخيّة!

ثم ران الصمت من جديد. وكانت الساعات تمضي، وعلى الرغم من